

- ١٠٤ -

إذا كانت الحياة لا توجد في كل مادة ، وكانت المادة الخاصة التي توجد فيها تطلقها معاني لا يحصرها الحس ، وتأخذ منها كل هذه الأجسام التي تملأ فضاء الكرة الأرضية ، فهل هذا هو تفسير السر المعلق أو هذا هو السر المعلق الذي يدق عن العقول ؟ .

وأى أجسام بل أى آكام من الأجسام . أهي أجسام وكفى تتساوى في جميع الأشكال والأحجام ؟ .

كلا . بل هي أجسام تختلف كل ذرة منها كل ذرة ، ولا تنوب واحدة منها عن الأخرى أو تختلط شخصية منها بشخصية سواها . فأين يبتدىء التلغز والتخمين إذا كان هذا نهاية التفسير والتبيين ؟ .

* * *

وإذا كان الماديون قد بلغوا بتجريد قوة الحياة أقصى ما يستطيعه المادى من صفات التجريد - فان القول بالتجريد المطلق لا يقطع الكلام في مسألة الروح ولا يتركه بغير بقية طويلة تستتبع الأسئلة الكثيرة بغير جواب .
فهل الجوهر المحرد البسيط يقبل الفناء ؟ وهل كان معلوما قبل أن يوجد ؟ .

إن فريقا من الفلاسفة يقول إن الجوهر البسيط لا يتغير ولا يفنى . لأن الانحلال إنما يأتي من جهة التركيب وليس في الجوهر البسيط مركب . وما ليس بقابل للفناء غير قابل للإيجاد بعد عدم ، وليس له ابتداء ولا انتهاء .

وبعض المتدينين يقول بقدم العالم كله لأنه لا يخلق في زمان ، والجواهر البسيطة من باب أولى قديمة على هذا الاعتبار . وقد يستشهد هؤلاء على قدم الروح بأنها من روح الله : « ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون » .

فالروح من روح الله وهو أزلى أبدي بلا أول ولا آخر ولا زمان ولا مكان .